جمالية الفضاء في رواية "عائلة من فخار"
مسار المتقاعد صاحب الخيزرانة

أ.د. عبد العالي بشير
جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان

يكتسب الفضاء في العمل الروائي أهمية كبيرة،لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه الفضاء الذي تجرى فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول فى بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوى كل العناصر الروائية، ويساهم في تطوير بنائها.
إنّ للفضاء الروائي دوراً مهماً في تشكيل العمل الروائي، فهو البنية الأساسية من بنياته الفنية، ولا يمكن تصوّر أحداث روائية إلا بوجود مكان تنمو فيه الأحداث وتتشعب، فكل المكّونات الحكائية في العمل الروائي تتشكل داخل الفضاء الذي تتم به عمليات التخيُل والاستذكار والحلم، فلا يمكننا أن نتخيل شخصية روائية تفكر وتتفاعل مع أخرى، وتراقب وتحلل الأوضاع الإيديولوجية والاجتماعية إلاّ داخل مكان. ومن خلال المكان يمكن أن تفهم حركة الشخوص الروائية، ورؤاها.
الفضاء في رواية "عائلة من فخار" هو فضاء جمالي مهمته تجسيد رؤى الكاتب وشخصياته، ومن خلال بنيته يمكن الاعتماد على خطاب التعرية والإدانة لكل مواصفات الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية. وبواسطته نستطيع فهم العلاقة القائمة بين شخوص الرواية. والفضاء في الرواية ليس هو الفضاء نفسه في الواقع، ومن هنا تنشأ المفارقة، لأن التسمية محض وسيلة أولية باهتة، لايمكن أن تقوم وحدها ببناء الفضاء الروائي. يقول سمر روحي الفيصل موضحا هذه الفكرة:" إن المكان الروائي لفظي متخيل، يحيل إلى نفسه، ولا يتأثر بمحاولات الروائيين تسميته باسم حقيقي بغية إيهام القارئ بمصداقية الحوادث وواقعية المجتمع الروائي" 1.
وهو نظر قاسم سيزا محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي فى لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما يصف لا يصف واقعاً مجرداً، ولكنه واقع مشكّل تشكيلاً فنياً، إن الوصف فى الرواية هو وصف لوحة مرسومة، أكثر منه وصف واقع موضوعي. 2
إن الوصف يتناول الأشياء، فيرسمها بوساطة اللغة، وهو عنصر أساسى فى الرواية، فإذا كان السرد يروى الأحداث فى الزمان، فإن الوصف يصور الأشياء فى المكان، ولكنه ليس غاية فى ذاته، وإنما هو لأجل صنع الفضاء الروائي، أو بالأحرى خلقه.
ونشير إلى أن وصف الفضاء ليس غاية في ذاته، إنما هو وسيلة لخلق الفضاء الروائي، وهذا الفضاء الروائي لا يتحقق إلا من خلال حركة الشخصيات فيه ووتفاعلها معه، كما لا يتحقق إلا من خلال تعدد الأمكنة، وقيام علاقات متواشجة فيما بينها، وذلك كله من خلال رؤية تلتحم ببنية العمل الروائي.
إن الحديث عن عنصر الفضاء في رواية " عائلة من فخار" يفرض علينا أولا التوقف مع عنوان الرواية نفسه. حيث نجد أنفسنا أمام عنوان أصلي " عائلة من فخار " وعنوان فرعي " مسار المتقاعد صاحب الخزيرانة ".يرسم الفضاء الثاني المسار الذي يتحرك فيه بطل الرواية " الأب المتقاعد " يتعلق الأمر هنا بالمسار الرابط بين البيت والزاوية. وإذا كان الفضاء الأول يرمز إلى الضجر والملل واليأس والقنوط فإن الثاني يرمز إلى الراحة النفسية والطمأنينة.
ويشكل فضاء الزاوية جزءا من شخصية البطل، إذ قضى فيه فترة من حايته بعد أن طرد من المؤسسة التي كان يعمل بها، كما ساهم في تغيير مجرى حياته وسلوكه وتصرفاته، فقد تخلى عن ارتداء بدلته الأنيقة، وربطات العنق الحريرية، وعوضها بالسراويل العربية، والعباءات الفضفاضة

البيضاء والعمامة الصفراء أو" الكنبوش" الأبيض كما استعان على المشي بخزيرانة أهداه إليه والده " سي العيد " قبل وفاته بسنة واحدة فقط.نسي حماسه للاشتراكية والثورات الثلاث. لقد تحول إلى إنسان آخر.

يقول الكاتب: " وبعد ذلك قصد الزاوية الخضراء بنصيحة من " عدة الشواف " زميله القديم في المؤسسة الذي أصبح من مريدي الطريقة الصوفية. وجد لخضر عند الشيخ المنور الراحة التي كان ينشدها...وهكذا بدأ مسيرته الجديدة فابتعد عن جو العائلة الصاخب وكف عن الجري وراء منصب عمل تافه" ص 28.

لقد وجد " لخضر " في الزاوية سعادة لا يمكن وصفها " كان يقصدها في كل جمعة لينصت إلى مواعظ الشيخ المنور، ثم يأخذ مكانه في ركن الزاوية فيخرج سبحته البنية من جيب عباءته، ويترك روحه تسبح في ملكوت السماء، متخلصا من كل خواطره المحمومة وهمومه المرهقة. يا لها من لحظات لا يعرفها إلا من قاده الله إلى الزاوية الخضراء، وهداه إلى المعرفة اللدنية. لقد أنقذه الشيخ المنور من التيه الذي عاشه بعد تقاعده" ص 46.

وبالإضافة إلى فضاء "الزاوية" فقد استحضر الكاتب في روايته مجموعة من الأفضية الأخرى لخدمة رؤيته، وإبراز موقفه من التغيرات السياسية والاجتماعية التي وقعت في البلاد في عهد الانفتاح والتعددية. ومن بين هذه الأفضية نذكر:

فضاء الوطن: يتسم بالسعة والرحابة، ويثير لدى القارئ إحساسا بالمواطنة والانتماء، وقد حمله بعض الروائيين تاريخ بلادهم، ومطامح شخوصهم، فكان واقعا ورمزا، تاريخا قديما وآخر معاصرا. ولكن الملفت للانتباه هو أن فضاء الوطن الشاسع في رواية " عائلة من فخار" يرمز إلى الغربة والتهميش والبطالة والذل والمهانة مما اضطر الشباب إلى التفكير في الهجرة بحثا عن العمل، على الرغم من المخاطر التي تصاحب مثل هذه العملية يقول الكاتب واصفا مشاعر" خروفة " تجاه هذه الفئة من الشباب: " لقد سمعت وقرأت أخبارا مفزعة عن الشبان " الحراقة " الذين ابتلعهم البحر الهائج، أو تعرضوا للاحتيال من طرف عصابات قوارب " الحرقة " وتأثرت كثيرا حين سمعت قصة الشاب الذي ترك رسالة في زجاجة خضراء، كانت موجهة إلى والدته الأرملة. قال فيها: أحبك يا أمي وأحب بلادي، ولكنني كرهت نفسي. البطالة دمرتني..إذا مت وعثر على جثماني فادفنيني في قبر والدي الذي تركني " مزلوط ". تحيا الجزائر.. ويلعن جد الفقر".ص 12.

لقد شعر هؤلاء الشباب بالذل والإهانة في وطنهم، ففكروا في الهجرة إلى الخارج من أجل الحصول على وثائق إدارية قد تفتح لهم أبواب النجاح والعيش الكريم وتمنحهم حقوقا لم يسبق لهم أن تمتعوا بها في بلدهم الأصلي.

فضاء المدينة: لقد تعامل الكاتب مع فضاء المدينة بنوع من الرفض، والسوداوية باعتباره فضاء للاستلاب والعلاقات الاستهلاكية، فضاء للحد من الحرية، ولمزيد من انسحاق الروح تحت وطأة الفقر والجوع والمرض. وتحكّم طبقة معينة بباقي الطبقات الأخرى، فضاء لنظام مؤسساتي "لا يعنى بالبشر كأفراد ومواطنين بل بمعاملتهم كأجساد بشرية. إنه فضاء المال والبزنسة واحتكار السلع يقول جيلالي العيار لشريكه" اسمع يا عبد الله أنت المسئول الوحيد عن البضائع. ضعها في المخزن لا تسلمها إلى دحمان البزناس حتى يدفع ثمنها. أطلب منه أن يدفع ديونه السابقة. ص 52.

فضاء يتجلى فيه التناقض الاجتماعي الصارخ" فحميد " لما دخل إلى حي تلمينة النظيف بحثا عن" حميد مطروس" الذي خطف منه صديقته " سارة المراجي " أدهشته الفيلات التي بنيت على قطعة أرض فسيحة كانت تغطيها في السبعينيات من القرن الماضي بساتين أشجار المشمش والتفاح...وبعد دقائق من البحث تعرف على فيلا مطروس التي كان يحرسها رجل معمم، ثم دار خولها فوجدها كقلعة محصنة من كل الجهات، ولا سبيل لاقتحامها في حالة الهجوم على ساكنيها، كان الحي فارغا. شعر بأنه غريب عن هذا الحي الهادئ الذي بنيت عليه فيلات لم يرها في الماضي القريب إلا في الأفلام والمسلسلات الأمريكية أو المصرية. ص 73.

فضاء يعبث فيه أصحاب المال والسلطة بالأراضي والمحلات والسكنات ومناصب العمل، يقول الكاتب على لسان " يوسف " المتمرد: " وسمع أن مساحة الجنينة كلها ستبنى عليها محطة لنقل المسافرين, وقد تقام عليها الفيلات الفخمة أو أية بناية لمؤسسة خاصة.. وهو ما دخله في أمور هؤلاء الأشخاص...إنه يسمع بهم ولا يراهم" ص 74.

ويتميز فضاء المدينة بسمات تميزه عن غيره وتطبعه بطابع خاص به، فأصحابه يتمكنون من الانتقال من مكان إلى أحر، هذا الانفتاح والتحرك يتيح للطبقة المسيطرة امتلاك مزيد من القوة والسلطة والنفوذ، تقوم بتوظيفها خدمة لمصالحها." " فالجيلاي العيار"مثلا استغل ماله من أجل الوصول إلى قبة البرلمان " لقد اشترى ترشحه على رأس قائمة حزب غير معروف، وهو يسعى للفوز بمنصب نائب مهما كان الثمن " ص 43. ولكنه من حسن الحظ أنه لم يتمكن من تحقيق هذا الحلم الذي ظل يراوده منذ زمن بعيد.

كما يتيح هذا النوع من الفضاء للمقيمين فيه فرصة اكتساب المعرفة وهي أداة أخرى لتحقيق التميز وقدر من الحرية، أو أداة تستغل لتحقيق مزيد من المكاسب دون أن تكون أداة لتحقيق التغيير. " فخروفة " مثلا قد انتقلت " إلى مدينة وهران لمواصلة دراستها بالجامعة، وهناك تحصلت على شهادة في الهندسة المعمارية علقت آملا عريضة على هذه الشهادة، لكن بعد تخرجها اصطدمت بالواقع المرير، طرقت في كل الأبواب بحثا عن منصب عمال ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل.

عاشت " خروفة " خمس سنوات من الحياة الحرة في الجامعة، تمنت لو لم تنته دراستها بها " كانت تمارس في غرفتها بالحي الجامعي كل ما كانت ترغب فيه. كان يحلو لها أن تسمع إلى أغاني ميراي ماتيو، دليلة، جاك برال، أم كلثوم، فريد الأطرش، محمد العنقة، بلاوي الهواري، أحمد وهبي، وخالد، ومامي، وبلال، كما كانت تطالع أحيانا المجلات المصورة، وروايات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ، وبعض قصص أقاتا كريستي البوليسية. لم تجرب التدخين إلا مرة واحدة وهي في غرفتها، ومنذ تجربتها الأولى ظلت تنفر من السيجارة وتعتبرها خطرا على الصحة. ولبست خروفة كل أنواع الألبسة العصرية ومنها لباس " مني جيب " الذي كانت تبدو فيه بطول رجليها المدمجتين مثيرة جدا " ص 68 - 69.

إنّ المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي ويرسم طوبوغرافيته، ويجعله يحقق دلالته الخاصة وتماسكه الأيديولوجي"3. " فموسى ابن لخضر " مثلا كان على تنافر مع فضاء مدينته، باعتباره فضاء معتماً يخيم عليه القمع وأخطبوط السلطة. ولهذا قرر مغادرة المدينة التي يحبها إلى الجزائر العاصمة بحثا عن العمل، لقد أوهم أمه بفكرة البحث عن العمل، ولكنه في الحقيقة كان منضما إلى مجموعة من الشبان الذين قرروا الهجرة السرية إلى أسبانيا. لقد اتصلوا بصاحب قارب سينطلق من شواطئ (بني صاف)، ودفع كل واحد منهم سبعة ملايين سنتيم.

بقي أن نشير إلا أن الكاتب لم يعتن بوصف تفاصيل المدينة التي تجري فيها أحداث الرواية بل اكتفى بوصفها وصفا عاما فقال : " هبت الريح الشرقية على المدينة الرابضة بالربوة الجرداء، وسهلها الخصيب، وراحت تجلد بحرارتها المقيتة البنيات المغروسة بشكل فوضوي " ص 5. فقد أشار الكاتب من خلال هذا الوصف إلى ظاهرة استفحال البناء الفوضوي في المدن الجزائرية.

فضاء البيت: إن فضاء البيت في الرواية هو عبارة عن ركام من الجدران والأثاث، لا يختزن قيم الألفة ومظاهر الحياة الحميمية الجامعة بين الزوجين والأبناء، وبذلك تحول إلى مصدر للشقاء والتعاسة يقول السارد واصفا عودة الأب إلى البيت :" واصل سيره بهدوء عائدا إلى بيته، تمنى أن لا يلتقي بزوجته، أمله الوحيد أن يجد فراشه مرتبا في غرفته، ثم خطر له أن يتمدد تحت شجرة الليمون...ويقرأ تحت ضوء مصباح البهو آيات من القرآن الكريم في مصحف مجلد أهداه إليه الشيخ" المنور" سيرتل كالعادة سورة الرحمان ثم يصلي ويسبح قبل أن يستسلم للنعاس. ولما وصل بيته كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل" ص 33. فلجوء الأب إلى البيت لم يكن سوى لتلبية رغبة بيولوجية أو ممارسة لشعائر دينية.

ويتشكل فضاء البيت في النص الروائي من ثلاث غرف، غرفة الأولاد، وغرفة خروفة التي لا تتجاوز مساحتها عشرة أمتار مربعة، والغرفة الثالثة خاصة بنوم والديها، وباستقبال ضيوف العائلة أيضا. إن وصف الفضاء ببنيته وشكله، وأثاثه، ومكوّنات ديكوره يحيل بشكل أو بآخر إلى المستوى النفسي والاجتماعي والثقافي للشخصيات التي تتحرك وتتفاعل في هذا المكان، فهو فضاء يفوح بروائح الفقر، ويعج بالصراعات الرهيبة والمشاكل المعقدة. أو بعبارة أخرى هو مفرخة للهموم القاتلة.

إن الجو السائد في هذا البيت الكئيب هو الذي جعل خروفه تقبل فكرة الزواج من " جيلاي العيار" الرجل الثري الذي يكبرها بسبع وعشرين سنة. قبلت الزواج به من أجل إخراج عائلتها من هموم الفقر والهروب من البيت الكئيب. آه لو كانت تملك مالا لساعدت به والدها للخروج من عزلته المخيفة، وتمنت أن تفتح له محلا لبيع المواد الغذائية، أو تشتري له سيارة يستعملها لنقل المسافرين. إنها لا تريده أن يصبح ضحية للفراغ المدمر أو يغرق في عالم العزلة المخيفة " ص 11. أوربما للتخلص من الجرح العميق الذي تركه "جلال العزاوي " الرجل الذي أحبته بكل جوارحها." رضيت بعد تردد أن تكون زوجة لجيلالي العيار الذي لا تشعر نحوه بأي حب.ربما سينقذها من ماضيها وجراحه. وهذا ما كان يهمها في الوقت الحاضر " ص 19. لقد شجعتها والدتها على هذا الزواج وقالت لها: "الشهادات والأموال لا تنفع المرأة إلا إذا تزوجت. وأفهمتها أن البطالة ستقتلها إذا لم ترض بالرجل الثري الذي سيساعدها في فتح مكتب للدراسات" ص 35. لم يتم هذا الزواج لأن جيلالي العيار كان قد اكتشف بأن خروفة كانت تربطها علاقة بأستاذ جامعي يدعى جلال العزاوي. " وضعت خروفة يمناه على جبينها العريض وراحت تحملق في وجه الكهل الذي ابتسم لها بمكر. إنه يعرف عنها السر الذي لا تعلمه حتى والدتها. هل انتقل إلى وهران للتحقيق في ماضيها؟ الرجل خطير فعلا. ها هو يواجهها بالسر الذي أرادت أن تخفيه عن كل الناس." ص 82.

حاولت الإفلات منه بوضع حد لهذه العلاقة، ولكنه هددها قائلا: " لن تنفلتي من قبضتي يا خروفة، لقد تحصلت على صور تظهرك مع ذلك الأستاذ الغريب. أن أعلم عنك الكثير..سأفضحك يا خروفة .. سأجعل منك فتاة ساقطة في بيت " صباح الرمية " ص 83 - 84 لقد أصبح جيلالي العيار يهددها بماضيها إن هي لم تستسلم لرغبته المجنونة " أحب أن أراك الليلة في الشقة الشاغرة وإلا سأفضحك " ص 84.

لقد وقعت في حيرة، لا تدري كيف تواجه الأيام القادمة، بعدما افتضح أمرها. لقد انتقم منها جيلالي العيار لما رفضت الرضوخ لرغبته المجنونة. انتشر خبرعلاقتها بالأستاذ الجامعي. لقد جعلت منها الإشاعة فتاة متهورة تسببت في طرد أستاذ من منصبه بجامعة وهران. ص 95.

لامتها والدتها على كتمان سر علاقتها بجلال العزاوي، وطلبت منها أن تختفي بعض الوقت عند خالتها فاطمة التي تسكن بمدينة معسكر. لكنها قررت أن تواجه مصيرها وحدها. فكرت في الانتحار ولكنها وبعد مرور وقت قصير وجدت نفسها غير متحمسة لفكرة القتل، بل اتهمت نفسها بالجبن والاستسلام لضغوط جيلالي العيار. خرجت من البيت هاربة من نظرات الوالدة المنتحبة، مشت بسرعة، تلبستها حالة نفسية لم تشعر بها قبل هذه اللحظة..غادرت المدينة هربا من الرجل الذي خدعها.

فضاء المؤسسة: كانت مؤسسة المكيفات الهوائية شأنها شأن بقية المؤسسات الأخرى المنتشرة في ربوع الوطن مفخرة الاقتصاد الوطني، ولكن بعد التعددية والانفتاح تعرضت هذه المؤسسات للغلق والخوصصة، وطرد العمال منها وأجبروا على التقاعد المسبق، بحجة الإفلاس " انتهى عهد الاشتراكية وسياسة الصناعة المصنعة، وأقبل عهد كره " لخضر " فيه الحياة الجديدة التي ظهرت فيها أحزاب ونقابات وجمعيا كثيرة" ص 41.

لقد قضى " لخضر " في هذه المؤسسة سبع وعشرين سنة، وأصبح العمل عبادته الوحيدة، كان يقصدها بعد صلاة الفجر ولا يعود إلى البيت إلا بعد غروب الشمس، وفجأة انهارت أحلامه وأصبح شيخا وحيدا،لا أصدقاء له، ولا مال لمواجهة المستقبل المجهول. ص 47.

لقد مزج الكاتب بمهارة بين عنصر الفضاء والماضي السعيد والحاضر البائس للبطل ففضاء المؤسسة يرمز في النص إلى تلك الفترة السعيدة التي عاشها الأب في تلك المؤسسة، حيث كان يتقاضى راتبا محترما مكنه من بناء بيت متواضع لأفراد العائلة، وكان هذا الراتب كافيا لتوفير لقمة العيش لأفراد العائلة، ولكن بعد غلق المؤسسة وجد الأب نفسه ـ كغيره من العمال ـ بدون منصب عمل. مما جعله يحن إلى تلك الفترة المجيدة. لقد اشترى هذه المؤسسة فيما بعد "جيلالي العيار" في إطار خوصصة المؤسسات العمومية"ص8. ثم أطلق عليها اسم (شركة البحيرة) وحولها في التسعينيات إلى سوق لبيع المواد المستوردة.

فضاء المسجد: لقد استغل الكاتب تردد " لخضر ولد الفخار " على المسجد، ليصف لنا هذا الفضاء المغلق فقال: " صلى" لخضر ولد الفخار " ركعتين قرب المنبر الخشبي، ثم عاد إلى مكانه المعتاد في الزاوية اليمنى من مسجد حي البرتقال، منتظرا كالعادة وقت صلاة العشاء. شعر براحة كبيرة وهو يسند ظهره إلى الجدار المغطى بخزف تشبه رسوماته الخط المغاربي. سيتلو في سره سورة الرحمان الذي حفظها عن ظهر قلب، أنعشته برودة المكيف الهوائي الذي راح يزأر من شدة الحرارة...وبعد أن أدى الصلاة في خشوع ابتعد قليلا عن مكانه الأول ثم صلى الشفع والوتر ودعا الله أن يرحم والديه وكل المسلمين" : ص 26.فقد وصف هذا الفضاء بالجمال، وهو بالإضافة إلى ذلك مكان للراحة النفسية والطمأنينة التامة.

فضاء السجن: لم يهتم الكاتب بوصف هذا الفضاء، ولكنه ركز على أثره في سلوك النزيل. فيوسف أخ خروفة مثلا قضى شهرين حبسا نافذا بسب الاعتداء على طالبة بثانوية، وازدادت خلافته مع والدته منذ خروجه من السجن، لم يجد اسمه حتى في قائمة المترشحين للامتحان بسبب سوابقه العدلية. ص 22. لقد ساءت أخلاقه بعد خروجه من السجن وأصبح يدخن ويتناول الخمر والمخدرات36 عمره اليوم سبع وعشرون سنة وما زال يلجأ إلى الناس من أجل ثمن سيجارة أو فنجان قهوة.

لقد دخل يوسف مرة ثانية إلى مؤسسة إعادة التربية بسبب غرز خنجره في كتف الحارس الذي منعه من الدخول إلى الشركة التي كان يديرها جيلالي العيار. وهناك تعلم حرفة الميكانيكا، وتغير سلوكه، وقرر في هذه المرة التخلي عن عادته القديمة.

فضاء المقهى: قال الكاتب في وصف هذا الفضاء الشعبي: "ودخل" يوسف" المقهى الذي كانت تفوح منه رائحة نتنة، جلس على كرسي بلاستيكي أبيض ومد رجليه نحو جهة المرحاض. اختار الجلوس في الزاوية اليمنى بعيدا عن زبائن المقهى المنهمكين في لعب " الديمينو" أو في الحديث عن الانتخابات التشريعية" ص19.فهذا المقهى هو نموذج للمقاهي الجزائرية بصفة عامة التي تشتهر بالنتانة وعدم الاعتناء بالزبون. والملفت للانتباه أن المقهى في المجتمع الجزائري يعتبر من أهم الأفضية التي يتردد عليها المواطن، ويقضي فيها معظم أوقاته في اللعب، وحبك الدسائس، وترويج الإشاعات.

خلاصة القول يمثل الفضاء لدى محمد مفلاح الشيء "الثابت" الذي يناقض تغير الشخصيات المستمر. ويبدو أن الكاتب محق في ذلك، لأن الشخصيات تتطور مع تطور الزمن، أما المكان فإن سطوة الزمن لا تطاله بسرعة، وإنما ببطء غير محسوس.

ومما يعاب على الكاتب أنه اقتصر في عمله على الأفضية المغلقة والمنعزلة، وجعل الأحداث تدور فيها : "فالأحياء في " الرواية " تفقد الرحابة والاتساع، وتتقلص إلى حيز محدود لا يتجاوز البيت، ولكن سرعان ما يستدرك هذا العيب الفني عندما يوسع من دائرة الرقعة المكانية.

الخلاصة

ونختم هذه الدراسة بمجموعة من الملاحظات نسوغها على الشكل الآتي: يعد الفضاء في رواية " عائلة من فخار" عنصراً فاعلاً في تطورها، وبنائها، وفى طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفى علاقات بعضها ببعض.

ليس من الضروري أن تحيل تسمية الفضاء في الرواية القارئ على الفضاء الذي يحمل الاسم نفسه في الواقع، لأن الفضاء في الرواية ليس هو الفضاء نفسه في الواقع.
لا يمكن أن يرد الفضاء بدون وصف، فإذا كان السرد يروى الأحداث فى الزمان، فإن الوصف يصور الأشياء فى المكان.
تشتمل رواية " عائلة من فخار " على رؤية الكاتب لعدد من القضايا الأساسية في الجزائر إذ تغطي مرحلة انتقال البلاد من نظام الحزب الواحد إلى التعددية والانفتاح، وما رافقهما من غلق للمؤسسات الوطنية وتسريح للعمال.
أشار الكاتب إلى تخلي الحكومة عن المؤسسات العمومية، وبيعها للخواص بأثمان رمزية، وما ترتب عن ذلك من طرد للعمال، وانعكاس كل ذلك على حياة أسر هؤلاء المطرودين، أو المرغمين على التقاعد الإجباري.
تحدث أيضا عن المصانع الضخمة التي شيدتها الجزائر في كل ربوع الوطن، والحلم الذي كان يراود المسئولين والعمال في تصدير إنتاج هذه المصانع إلى الاتحاد السوفيتي وألمانيا الديمقراطية ويوغسلافيا، ولكن حلم العمال سرعان ما تبدد لأن التعددية والانفتاح، وما رافقهما من إصلاحات اقتصادية قد قضى على كل هذه الشركات والمؤسسات التي كانت مفخرة الاقتصاد الوطني.
تعرض الكاتب في روايته أيضا إلى ظاهرة هجرة الشباب إلى الخارج من أجل البحث عن العمل، وموت البعض منهم في البحر غرقا قبل الوصول إلى بلدان الحلم اليائس.

الإحـالات

1.سمر روحي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995. ص 283
2 قاسم سيزا أحمد، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، 1985. ص 110.
3. محمد محمود الزبيري: مأساة واق الواقع، الطبعة الثانية، دار الكلمة، صنعاء 1985، 192-292.

المـراجع

1. بحراوى، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990.
2. سمر روحي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.
3. سيزا أحمد، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، 1985.
4. هلسا غالب، المكان فى الرواية العربية، دار ابن هانئ، دمشق، 1989.